
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

# درقاوة والتواصل الاجتماعي والثقافي بين المغرب والجزائر

# نهاية القرن 18 وبداية القرن 19 م

محمد الخداري*

## مقدمة

لعبت الطرق الصوفية دورا مهما في تاريخ بلاد المغارب، وفي تحقيق التواصل بينها، حيث أسهم المغاربة منذ قرون إسهاما ماديا وروحيا في استمرار الصلات بين هذه البلدان من جهة، وبينها وبين باقي البلدان العربية والاسلامية من جهة أخرى. وظلت مبادرات المغاربة ماضية في هذا المنحى رغم سيطرة العثمانيين على جل البلاد العربية، وظهور مفهوم الحدود بين ولاية الجزائر التابعة للعثمانيين ودولة الشرفاء بالمغرب الأقصى. وحافظت العلاقات المغربية الجزائرية على عمقها التاريخي مستندة على ما يجمعها من قواسم مشتركة إثنيا ومذهبيا ولغويا وفكريا.

وقد أسهمت الطريقة الدرقاوية، على عهد مؤسسها مولاي العربي الدرقاوي (تـ 1238هـ/ 1823م)، في استمرار الصلات بين المغرب والجزائر أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين، من خلال تكثيف التواصل الاجتماعي بين البلدين عن طريق نشر الطريقة الدرقاوية بالجزائر في مرحلتها الأولى بثوب التجرد (خرق عوائد الناس) وتبادل الزيارات وتنشيط الروابط الاجتماعية بين البلدين، وكذلك خلق

* أستاذ التاريخ بكلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش.

وتنشـيط الروابط الثقافية، وزيادة الاهتمام بدرقاوة في الجزائر من خلال تزايد التأليف عن الطريقة الدرقاوية.

**أولا - انتشار الطريقة الدرقاوية بالجزائر:**

انتـشرت جل الطـرق الصوفية التي ظهـرت في المغرب في مجموعـة من البلاد الإسـلامية مرورا ببلاد المغـارب، وينطبق ذلك على الطريقـة الدرقاوية التي ظهرت في العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر، حيث اسـتفادت من إرث طريقتها الأم الشاذلية. وتنسب هذه الطريقة للشيخ مولاي العربي الدرقاوي (1159-1239هـ/ 1747-1823م)، الذي قام بتجديد الطريقة الشاذلية، ودعا إلى تصوف عملي اجتماعي يشارك في مختلف شـؤون الحياة، دون الانعزال في الزوايا والجبال والخلوات. واعتبر الشيخ الدرقاوية ذات منحى سـني، ومرجعيتها القرآن والسـنة وسيرة السـلف الصالح، كما اختار في المرحلة الأولى طريقة التجرد مع التقشـف، لتنبيه شـاذلية عصره الذين بالغوا في الاستفادة من مبدإ "التنعم بالنعم"، وجمعوا الأموال واهتموا أكثر بالشؤون الدنيوية. ثم غير الشيخ في المرحلة الثانية اتجاه طريقته دون خرق عوائد الناس في الأكل واللباس[1].

انتشرت الطريقة الدرقاوية بسرعة في الجزائر، يقول العربي المشرفي (ت 1312هـ/ 1895م) أن الشيخ العربي الدرقاوي ترك «**أضعافا مضاعفة من شيوخ التربية في حواضر واسطة المغرب وأعرابها (...) وجنود عديدة بواسطة المغرب من تلمسان إلى إفريقية**»[2]، ويزيد بأن انتشار الطريقة الدرقاوية شمل جل أراضي الجزائر من تلمسان حتى تونس[3].

---

1- امتازت الطريقة الدرقاوية بأحوال خاصة في سلوك طريق التجرد وهي لبس المرقعة وحمل سبحة كبيرة في العنق وحمل عصا في اليد والسؤال (أي جمع الأموال لقتل النفس)، زيادة على الذكر وحلقاته جهرا في المساجد والأماكن العمومية والذي شكل محور طريقتهم. أنظر، الخداري محمد، **دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة: الزاوية الدرقاوية من 1786 -إلى 1823م**، دكتوراه وطنية، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، السنة الجامعية 2004- 2005م، ص ص. 66 – 97. (مرقونة)

2- المشرفي، العربي (ت. 1895)، **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيءالظن أكنسوس**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، مجموع رقم ك 2276، ص. 226- 195.

3- نفسه، ص. 224- 225.

وقد تخرج على يده عدد من المريدين، منهم من أسس طرقا حملت اسم الشاذلية أو الدرقاوية أو اسم مؤسسيها. وبعد وفاته «**ترك نحو الأربعين ألف تلميذ كلهم متأهلون للدلالة على الله سبحانه**»[4].

تعددت العوامل التي أدت إلى انتشار الطريقة بالجزائر، واختلفت من دينية ارتبطت بالرحلات الحجازية، إلى عوامل ميزت الدرقاوية عن غيرها من الطرق، وتمثلت في كثرة سياحات شيوخها ومريديها وزياراتهم.

**1- الرحلات الحجازية:**

لعبت طرق قوافل الحج أو الرحلات الحجازية دورا أساسيا في استمرار التواصل بين البلاد الإسلامية، وكانت معبرا للأشخاص والأفكار وأداة للتبادل الفكري والتجاري، ومجالا للحوار في ظل أزمات وحروب وصراعات عانت منها جل البلاد الإسلامية طيلة قرون[5]. كان الركب الفاسي باستمرار أهم الوفود الحجية المغربية، حتى أن تسميته كانت ترادف مجموع الحجاج المغاربة بمصر، فيقال الركب الفاسي أو الركب المغربي[6]. وبعد ظهور الدولة العثمانية وسيطرتها على جل البلاد العربية، لم يؤثر ذلك على انتظام ركب الحج المغربي إلى المشرق الواقع تحت حكمها[7].

4- الزكاري، أحمد بن الخياط، **مجموع رسائل أبو عبد الله محمد العربي الدرقاوي الحسني في التصوف وأدبه**، طبع ونشر دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، دون تاريخ (التقديم). ص. 12.

5- يقول محمد مكامان أنها سميت بالرحلات الحجازية من باب التغليب لما لهذه البقعة في نفوس المسلمين من مكانة معظمة واعتبار ديني، حيث كانت بلاد الحجاز هدف وغاية الناس المتوجهين نحو الشرق. مكامان محمد، **الرحلات المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة السابع عشر والثامن عشر للميلاد**، دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1986، ج1، ص. 88.

6- المودن عبد الرحمن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر**، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1995، ص. 118. يونان لبيب رزق ومحمد مزين، **العلاقات المغربية المصرية من مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982، ص. 34.

7- الحج يشكل في كل سنة مناسبة للدولة العثمانية لإثبات سلطتها الروحية وهو ما يبرر حمل سلاطينها للقب خادم الحرمين الشريفين، ودورها كقوة إسلامية رئيسية، لذلك عمل السلاطين العثمانيون على نجاح مهمة الحج. جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ج2، ص. 561- 563. وفي المقابل يظهر الحج كورقة ضغط دبلوماسية في أيدي الحكام المراقبين للطرق الحجية... فالحج كان وسيلة للمناورة والضغط.
- El Moudden, Abderrahmane, **Moroccan- Ottoman relations from the 16th through the 18 th centuries,** Contribution to the study of a Diplomatic Culture, Princeton, January, 1992. p. 207.

والركب الحجي هو عبارة عن مدينة متنقلة بنظام، يشرف على سـيرها وراحتها وأمنهـا أمير الركـب ومعه الإمام والقاضي[8]، وهو صورة عـن مجتمع متنقل متكون من مختلف المناطق ويشـمل جميع شرائـح المجتمع من فقهاء وعلـماء ومتصوفة وعامة الناس. ويظهر الحج كعنصر مهم لتنقل الأشخاص والبضائع والأفكار[9]. وهو بالفعل أهم معبر للأفكار والأفراد ومختلف أنواع الحوار وتبادل المصالح المتعددة والمختلفة حسـب وضعية الحجاج وركبهم[10]. والحـج يمكن من ربط حياة المجموعات المعزولة من قبائل وعشـائر وأفراد بمنظومة ثقافية أشـمل، وهي الأمة الإسلامية[11]. ولعب الحج دورا هاما بشـكل خاص كقـوة من قوى التلاحـم الداخلي وكعامل من عوامـل التقارب فيما بين البلدان الإسلامية المختلفة[12].

وعلى الرغم من المواجهات العسكرية والمشاكل الدبلوماسية بين المغرب والجزائر، فإن العلاقات الإنسـانية والثقافية ظلت قائمة نتيجة الانتماء إلى المذهب السـني نفسه الـذي كان بمثابة محـرك فعال ومثمر للتبـادل الثقافي. والأكثر من ذلـك، فإن الحجاج والتجـار المغاربة كانـوا يقضون فترات طويلة مع سـكان المناطـق التابعة للعثمانيين، يتأثرون بعاداتهم وتقاليدهم، وينقلون أخبارهم وأحوالهم[13].

8- بلحميسي مولاي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 206.

9- El Moudden, **Moroccan- Ottoman relations** ... op. cit. , p. 207.

10- اعتبرت فالنسي أن قافلة الحجاج كانت أهم القوافل التجارية على الإطلاق في المغرب الكبير قبل 1830.

- Valensi, Lucette, **Le Maghreb avant la prise d'Alger**, 1790- 1830, Flamarion, 1969, p. 59.

في حين اعتبر عبد الرحمان المودن أن قافلة الحج تتمتع بقدسية كبيرة حتى أن تجارة الحجاج كانت تجارة دينية تحظى بالهيبة والاحترام، وهذا بطبيعة الحال لم يكن ليتوفر للتجارة والقوافل العادية. المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار**، ص. 129.

11- Valensi, **Le Maghreb...** op. cit. , p. 91.

12- جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ص. 561.

13- El Moudden, **Moroccan- Ottoman relations...** op. cit. , p. 141.

كان لمرور قافلة ركب الحج المغربي عبر الجزائر وتونس وطرابلس ومصر والحجاز، دور في التعرف على السكان بتلك المناطق، والتأثير والتأثر بهم. وكان لانضمام قوافل الحج الجزائرية إلى قافلة الحج المغربية لعبور الصحراء في اتجاه مصر، وطول المسافة التي تبقى فيها تلك القوافل مجتمعة حتى الحجاز، ونفسية الحاج القابلة للتأثر بكل ما هو ديني أو له صلة بتصفية الروح، الأثر الكبير في جعل الحجاج يؤثرون في بعضهم البعض، زيادة على دور المغاربة في قيادة ركاب الحج منذ أمد بعيد، كل ذلك ساعد على انتشار الطرق الصوفية بين أوساط الحجاج أولا، وبين سكان تلك البلدان ثانيا، وبالتالي تبعيتها الروحية للمغرب[14].

استفادت الطريقة الدرقاوية كباقي الطرق المغربية الأخرى من هذه العوامل، واستطاعت أن تنتشر عبر طرق قوافل الحج في جل البلاد الإسلامية، فشيخها العربي الدرقاوي حج مرتين إلى الديار المقدسة؛ مرة عبر البر في صباه قبل تأسيسه الطريقة، والثانية عبر البحر سنة 1212هـ/1797م حيث عرج على الجزائر بطلب من السلطان المولى سليمان للتوسط في الخلاف بينه وبين أخيه المولى مسلمة المستقر بوهران[15]. وقد ذكر الشيخ العربي الدرقاوي مدى انتشار الطريقة الدرقاوية عبر طريق الحج من المغرب حتى الحرمين الشريفين، فقال: «**لازال الفقير يمشي من هنا إلى بلاد المشرق وهو يبيت عند إخوانه في الله حتى يصل إلى الحرمين الشريفين، فيجد هناك إخوانه أيضا**»[16]. ومما يزكي انتشار الدرقاوية عبر طريق الحج، وجود كثافة عددية من الزوايا والمريدين والشيوخ على طول هذه الطريق، في تازة وفكيك والمناطق المتاخمة للأراضي الجزائرية.

---

14- عمالك، أحمد، «إسهام الزاوية الناصرية في ربط الصلات بين بلدان الشمال الإفريقي خلال القرنين 11- 12هـ/17- 18م»، **مجلة دار النيابة**، السنة السادسة، العدد 22، ربيع 1989، ص. 19. مكامان، **الرحلات المغربية**، ص. 227.

15- الضعيف، محمد بن عبد السلام، **تاريخ الضعيف**، تحقيق وتعليق وتقديم أحمد العماري، الطبعة الأولى، دار المأثورات، الرباط، 1986، ص. 290.

16- ابن القاضي، محمد المهدي (ت1855)، **النور القوي في ذكر شيخنا مولانا عبد الواحد الدباغ وشيخه مولانا العربي الدرقاوي**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم، ك2301، و50و.

ودعم هذا الدور الكبير الذي لعبته طرق قوافل الحج في نشر الطريقة الدرقاوية، حركية ونشاط شيوخها ومريديها، والتي تمثلت في كثرة السياحات والزيارات[17].

## 2- السياحات والزيارات:

جعل درقاوة السياحة من أهم ركائز الطريقة، وقد ربط الشيخ العربي الدرقاوي بين السياحة والبحث عن شيوخ التصوف، حيث ترك لأصحابه ومريديه حرية اختيار ذلك، حين قال: «**جولوا في أقطار الأرض، فإن وجدتم مشربا أصفى وأعذب من مشربنا فاتوني أذهب معكم إليه ونردوه جملة، فإن مقصودنا الله ولا حظ لنا سواه**»[18].

يؤكد الشيخ أحمد بن عجيبة (ت1224-23هـ/1809م) فقيه الطريقة، كثيرا، على السياحة، إذ «**لابد للفقير من السياحة في بدايته، لأن السفر يسفر عن العيوب ويطهر النفوس والقلوب، ويوسع الأخلاق، وبه تتسع معرفة الملك الخلاق**»[19]. ولما خلفه محمد الحراق (ت 1261-60هـ/1845-44م) على رأس الطريقة، أباح لأتباعه السفر من جهة لأخرى، ويرى أن بالسياحة تزداد معارف وتجارب المريد، ولذلك كان يدفع أصحابه في كثير من المناسبات الدينية إلى السفر[20].

وبحكم قرب الجزائر من المغرب، ووجودها شرقا في الطريق إلى الحج، زيادة على القواسم المشتركة التي تجمع سكان بلاد المغارب، من تشابه الإثنيات واللغة ووحدة الدين والمذهب، كل تلك العوامل جعلت شيوخ ومريدي الدرقاوية، يزورون ويسيحون في الجزائر أكثر من غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى. فالشيخ العربي الدرقاوي زار

---

17- الخداري، **دور الزوايا والطرق الصوفية**، ص. 128

18- ابن القاضي، **النور القوي**، و50ظ.

19- ابن عجيبة، أحمد، **الفهرسة**، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، دار الغد العربي، القاهرة، 1990، ص. 48.

20- لملحوني عبد الرحمان ا، فن السماع، الشيخ الحراق ومحاربة بدع السماع، **جريدة الأحداث المغربية**، العدد 376، الثلاثاء 26 رمضان 1420/4 يناير 2000، ص. 2.

الجزائــر، على الأقــل، مرتين قبل ثورة أتباعه بها بداية القــرن 19 م، وهو في طريقه إلى الحج، حيث تعرف على أحوال سكانها، وعلى ما يبدو نشر طريقته بها أو عرف بها.

وبعــد محاكمة درقــاوة بتطوان ســنة 1208هــ/ 1794م، أمر الشــيخ العربي رفيقــه محمد البوزيدي باللجوء إلى تلمســان خوفا عليه مــن رجالات المخزن، ثم لحق به الهاشــمي بن عجيبة أخ الشــيخ أحمد بن عجيبة[21]. ومن هناك نشر شــيوخ درقاوة الطريقة الدرقاوية بثوب التجرد بين أوســاط الجزائريين عامة، والشاذليين خاصة. وحتى شــيوخ ومريدي الدرقاوية بالجزائر تأثروا كثيرا بذلك وأخذوا بالسياحة وتبادل الزيارات فيما بينهم من جهة، وبينهم وبين شــيخهم وأتباعه بالمغرب من جهة أخرى. فأبو زيان المعســكري (ت 1280هـ/1864م) رافق الشــيخ العربي مدة عشرين ســنة، وكان يقوم بزيارة الشيخ مرات عديدة ببوبريح وفاس[22].

أمــا تلميذه المفضل بالجزائر «عبد القادر بن الشريف» ومقدم الطريقة بغربها، فكان يزور الشــيخ العربي مرة في الســنة في ركب من أصحابه، حيث يأتي معه كثير من الأتباع، وحين يرجع من الزيارة يبعث طائفة بعد أخرى، وقد أمره الشــيخ بالإقلال من ذلك خشية عليه من الشهرة وصعوبة الطريق[23].

وقد أعطى "المعســكري" وصفا دقيقا لقدوم الركب الجزائري ودخوله بوبريح[24]. ويوم سفر ابن الشريف ورجوعه للجزائر، قال للمعسكري: «**اجلس هنا عند أبينا وأبيك، إذ هــو والدنــا حقيقة حتى تســتريح إن كنت مريضا**»[25]. ونذكر كذلــك في هذا المقام، الشــيخ محمد بن معروف بوشــنافة الجزائري الذي درس بفــاس قبيل ظهور الطريقة

21- ابن عجيبة، **الفهرسة**، ص. 58.

22- المعسكري، أبو زيان محمد (ت1864)، **كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم، د2339، ص. 1- 88.

23- نفسه، ص. 109- 110- 111.

24- نفسه، ص. 86 (سنورد هذا الوصف في النقطة الثانية).

25- نفسه، ص. 87.

الدرقاوية، وكان يلتقي بالعربي الدرقاوي بها. وبعد استقراره بفكيك ودخوله الطريقة، دأب على زيارة الشيخ في ركب من فقراء فكيك وأبناء عمه أولاد سيدي بوشنافة والمناطق الجزائرية القريبة، وكان يحضهم على زيارة الشيخ واتباع رأيه[26]. وقريبا من المنطقة، نجد الشيخ محمد بن حمو الفجيجي، الذي اجتمع به المعسكري عدة مرات بدار الشيخ العربي ببوبريح، إذ كان مواظبا على زيارته[27].

كانت لهؤلاء الشيوخ زوايا بالجزائر، عملوا من خلالها على نشر الطريقة الدرقاوية بين أوساط السكان، حتى غطت أغلب مناطق انتشار الشاذلية بالجزائر.

الثابت أن السياحات والزيارات لعبت دورا بارزا في تمتين الروابط بين أتباع الطريقة وشيوخها. وكانت هذه السياحات تتخذ طابعا جماعيا تضامنيا ودعائيا خطيرا، إذ تصاحبها الأذكار و"الهيللة" والمذاكرة والموعظة، مما ساعد على توسيع وتدعيم القاعدة المادية والمعنوية للطائفة والطريقة الدرقاوية في المغرب والجزائر.

**ثانيا- إسهام في تكثيف الصلات الاجتماعية بين المغرب والجزائر:**

استطاعت الطريقة الدرقاوية أن تنتشر في الجزائر، كما رأينا، واستفادت من تجذر الطريقة الشاذلية بين أوساط السكان، خاصة بغرب البلاد، لإحياء هذه الطريقة في ثوب جديد، والتأثير على العادات والتقاليد والظواهر الاجتماعية. حيث اضطلعت هذه الطريقة بدور كبير في الحياة الاجتماعية، نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وخلقت روابط اجتماعية بين أوساط الدرقاويين الجزائريين من جهة، وبينهم وبين درقاوة المغرب من جهة أخرى.

**1 - انتشار الطريقة الدرقاوية بالجزائر بثوب التجرد:**

بعد انتشار الطريقة الدرقاوية بالجزائر، بدأ الدرقاوي يُعرف بين السكان بلباسه

26- نفسه، ص. 89- 90.

27- نفسه، ص. 90.

وســلوكه وتصرفاته التي تأثر بها بعد أخذه بمبــدأ التجرد أي خرق عوائد المجتمع. وقد انتقل المبدأ إلى الجزائر عبر شيوخ درقاوة؛ أمثال مولاي العربي الدرقاوي ومحمد البوزيدي والهاشمي بن عجيبة، أو نقله مريدون وشيوخ جزائريون إلى بلادهم. وبالفعل أخذ أتباع الدرقاوية بالجزائر بالتجرد، بل تشــددوا فيه وزادوا عليه بأحوال وعادات نظرا للظرفية العامة للبلاد.

أصبــح درقاويــو الجزائر يعرفــون بلبس المرقعــة، ويقول عنهم المــزاري: «**كان الدرقاويون (...) يلبسون المرقعة، ويرومون المسائل الموقعة، وربما أخذوا جديد الثياب فيقطعونها ثم يرقعونها بالاستعاب، ويظهرون الزهد في الدنيا إظهارا كليا**»[28]. وقد كثر الحديث عن حالة درقاوة هــذه في المصادر الجزائرية، فقد كانوا «**يركبون على القصب والحمير، ويعلقون معهم قلائد من الببوش ويظهرون الزهد في الدنيا**»[29]، وكان درقاوة الجزائر حســب "المشرفي" كثيري الذكر وترديد الورد، فهــم لا يفترون عن "الهيللة" أثناء الليل وأطراف النهار[30]. وكانوا يجتمعون في الأسواق والطرق والفنادق والدواوير والمقابر والمواســم والزوايــا في حلقات، ويذكرون الله جهرا مناوبــة[31]. وبما أن ابن الشريف كان مقدمــا درقاويــا غرب الجزائر، وأن الشــيخ العربي هو الذي أمره بنــشر الطريقة، فإنه كان يحــب التجرد ويعمل على نشره بين ســكان المناطق الغربيــة للجزائر. وقد تعرض درقــاوة الجزائر لنقد لاذع من طرف بعض الكتاب، فجاءت صورتهم وأحوالهم وحلقات ذكرهم قاتمة في بعض المصادر التي اعتمدنا عليها، ومرد ذلك أن كتابها كانوا من الموالين للعثمانيين، أو من الناقمين على الطريقة وشيوخها ومريديها الذين ثاروا ضد العثمانيين. فقــد اتهــم ابن الشريف أنه ابتدع أمــورا غريبة ينكرها الشرع، ورغــم ذلك اقتدى به

---

28- المزاري ابن عودة ا، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا**، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، الطبعة الأولى، دار الغربالإسلامي، بيروت، 1990، ج1، ص. 301- 302.

29- الوهراني مسلم بن عبد القادر ا، **تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394/1974، ص. 70.

30- المشرفي، **الحسام المشرفي**، ص. 216.

31- المزاري، **طلوع سعد السعود**، ص. 301- 302.

أنــاس كثيرون، وأخذ عنه مجموعة من الناس، «**وبقــي هو وأصحابه على ذلك ينتمون إلى التصوف والصلاح، فســيقت إليه الهدايا من كل فج وظهر**»[32]. وكان كلام "المزاري" لاذعا في حقهم، فهم حسب قوله: «**أهل الحالة الدالة على ذم وشقاوة وأنهم ينتحلون العبادات ويتلبســون على الناس ببعض الخيالات يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهم في أحوالهم في غاية التلطف لإنالة ما لهم به التوصف**»[33]. ورغم ذلك كان درقاوة الجزائر يسرعون إلى الأخــذ بمبدإ التجرد، ويجلبون الناس للأخذ عنهم، ويعتقدون أنهم على أكمل حال[34].

تعــرض المزاري، الذي يظهر أنه قادري الطريقة، لبعض تصرفات وأحوال درقاوة، قائــلا: «**وفي الحقيقــة أنهم ليســوا من أبناء الدنيــا ولا من أبناء الآخــرة، وإن هم إلا كالأنعــام بل هم أضل ســبيلا، وأقدم حالة وأكذب مقيلا ويكرهــون الأولياء والعلماء ويقدحون في أمواتهم ســيما شيخ المشــايخ الشــيخ عبد القادر الجيلاني (...) وينفون عنه التصوف وينسبونه إلى أنفسهم بالإخفاء والظاهر**»[35]. وكانت محاكمة درقاوة سنة 1208هـ/1794م بتطوان، بسبب الأخذ بالتجرد[36]، حاضرة في ذاكرة الجزائريين المنتقدين لهذه الأحوال، حيث يورد المزاري أبياتا لشاعر مجهول يذكر ذلك قائلا:

أيا أهل تطوان فمــا الحكم عنــدكــم ... في أصحاب درقاو إلى الجمل ينسب
بنــص يزيــل المشكــلات بأســـرها ... أيتبع مطلقا أم التــرك أصــــوب
ومن أين المحدثات شاع في الناس حكمها ... يا ذا الأمــن بالأوطـان بلدنا مغرب
ومـــا أحدثــوا من جلد ذيب ونحوه ... في لبسهـم والحبـل والعــود يركب
ومــن يعتقـــد الرقــص والشطـح باليد ... عبادة ربــه فزنديــق يحســـب
وقــد خالفــوا سبــل الرســول محمــد ... ومــن خالف سن النبي يعـــذب[37]

32- نفسه، الصفحة نفسها.

33- نفسه، ص. 301.

34- نفسه، الصفحة نفسها.

35- نفسه، ص. 302.

36- الخداري، **دور الزوايا والطرق الصوفية**، صص. 106- 113

37- المزاري. **طلوع سعد السعود**، ص. 303.

وتبقى حجـج درقاوة للدفاع عـن طريقتهم، وبالأحرى عن أحـوال التجرد من لبس المرقعة والذكر بالجهر وغير ذلك، تصب في التشـبث بالدين الإسلامي، فهم حسب «العربي المشرفي» أحد الدرقاويين الجزائريين «**متمسكون بسنة النبي المختار لا يحيدون عن السنة**»[38]. والطريقة الدرقاوية معروفة من بين سائر الطوائف والطرق، فهي «**أحق لاقتداء بأهلها، لأنهم التزموا متابعة السنة، وجنبوا عن ارتكاب البدعة**»[39].

اسـتطاعت الطريقة الدرقاوية، بحكم اعتمادها على الإرث الشـاذلي ومسايرتها للواقع، أن تنشر مبادئها المتشـبعة بالتجرد في الجزائر، وتثير الجدل في الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد. وعملت على اسـتمرار التواصـل والروابط الاجتماعية، بين المغرب والجزائر، والتي أصلتها الطرق الصوفية وعملت على استمرارها.

**2 - تبادل الزيارات وتنشيط الروابط الاجتماعية بين البلدين:**

لعبت السـياحات والزيـارات دورا بـارزا في تمتين الروابط والصـلات بين أتباع الطريقة الدرقاوية، وعملت على نشر أسـس وأحوال الطريقة، وتدعيم قاعدتها المادية والمعنوية بالمغرب والجزائر. وسـاعدت على اسـتمرار التواصل بين سـكان بلاد المغارب خاصة، وبينها وبين المشرق العربي عامة.

فالسـياحات والزيارات سـاهمت في خلق روابط اجتماعية بين أتباع الدرقاوية، لاسيما بالمغرب والجزائر، لقرب المسافة وتشابه الاثنيات ولغة التواصل، وقدم العلاقات بين متصوفة البلدين، رغم دخول العثمانيين للجزائر وظهور مفهوم الحدود شـمالا بين البلديـن، وهو المفهـوم الذي لم يكن حاضرا في ذهنية الناس وسـلوكاتهم بل كان ورقة بيـد الحكام. ولم تمنع الأزمات والصراعات والمواجهات بـين الحكام العثمانيين والشرفاء السـعديين والعلويين من استمرار التواصل بين السكان عبر تبادل الزيارات والسياحات،

---

38- المشرفي، **الحسام المشرفي**، ص. 216.

39- نفسه، ص. 215.

وزيارة المدن وأضرحة الأولياء والدراسة والتعلم بالمدن والزوايا. فكان سفر واستقرار الناس في الجزائر والمغرب من الأمور العادية في الحياة اليومية، ولا يشكل أي عائق أو مشكل أو يثير الانتباه.

وتزخر كتب الرحلات والحوليات والمناقب بمعلومات كثيرة عن هذا التواصل، ودخل درقاوة المغرب والجزائر في علاقات اجتماعية متينة وقوية، جمعت بين الشيوخ والمريدين، عملا بالأسس التي وضعها شيخهم وهي كثرة السياحات والزيارات. فمولاي العربي زار الجزائر مرتين وهو في طريقه إلى الحج، كذلك لجأ محمد البوزيدي والهاشمي بن عجيبة إلى تلمسان خوفا من المخزن بعد محاكمة درقاوة بتطوان. وكان المعسكري، صاحب مولاي العربي حوالي عشرين سنة، دائم التردد بين فاس وبني زروال ومعسكر، وكان يسهر على شؤون عائلة الشيخ الدرقاوي بفاس مدة من الزمن، ويرافقه في بعض الأحيان بعض الدرقاويين الجزائريين، مثل أحمد الخضر المعسكري الغريسي[40]. وكان يقوم بالسياحات في مناطق المغرب؛ ففي سنة 1230هـ/1814م زار قبر أبي درقة الجد الأكبر للشيخ العربي بمنطقة الشاوية صحبة الفقيه عبد القادر الزدمي التلمساني وعبد الله بن حوا الغريسي في سياحة كانت لهم هناك بإذن شيخهم العربي الدرقاوي[41]. ونجد كذلك محمد بن معروف الذي استقر مدة بفاس والتقى بالعربي الدرقاوي سنة 1170هـ/1757-56م قبل تأسيس الطريقة الدرقاوية. وبعد ظهور هذه الأخيرة، استقر بن معروف بفكيك، وكان يأتي لزيارة الشيخ ببوبريح في ركب من فقراء المنطقة وأبناء عمه أولاد سيدي بوشنافة، ويوصي أتباع الطريقة بزيارة الشيخ، حيث «**كان يدلهم على الله وزيارة الشيخ واتباع رأيه**»[42].

وزار شيوخ ومريدو الدرقاوية بالجزائر والمناطق الشرقية، والذين سبق ذكرهم، المغرب واجتمعوا بالشيخ العربي.

---

40- المعسكري، **كنز الأسرار**، ص. 88.

41- نفسه، ص. 13. أنظر حول درقاوة الجزائر والمناطق الشرقية للمغرب الذين عاصروا مولاي العربي الدرقاوي، الخداري، **دور الزوايا والطرق الصوفية**، ص ص. 131 – 139

42- المعسكري، **كنز الأسرار**، ص. 88- 89- 90- 115

ويبقى المقدم الدرقاوي عبد القادر بن الشريف، قائد ثورة درقاوة على عثمانيي الجزائر بداية القرن 19م، صاحب المكانة الخاصة عند الشيخ، هو الذي كان دائم التردد عليه، حيث كان يزوره مرة في السنة في ركب من أصحابه، ويصحب معه الهدايا المتكونة من الإبل والبغال والفرش والنقود والحلي وغير ذلك، «**ولا يترك بداره شيئا حتى حليهم ولباسهم إلا ما لابد منه، ولا يرجع من الزيارة حتى يجد عندهم أكثر مما أخذ**»[43]، وحين يرجع يبعث من لم يزر طائفة بعد أخرى. ونظرا لضخامة ركب ابن الشريف، وكثرة الأتباع المحملين بالهدايا، أمره الشيخ العربي بالعدول عن هذه الزيارات، خشية عليه من الشهرة وصعوبة الطريق والبعد، وقد وقف المعسكري بنفسه على ذلك حينما رافق ركب ابن الشريف سنة 1219هـ/1805-04م، صحبة مائة وخمسين من فقراء تلمسان والمناطق المجاورة، وحين وصولهم لبوبريح وجدوا بها حوالي خمسمائة درقاوي[44]. ويعطي المعسكري وصفا مفصلا لدخول ركب ابن الشريف لزاوية بوبريح قائلا: «**فقدموه أمامهم [ابن الشريف] وهم يذكرون الله إلى أن وصلنا قريبا من الدار وجدنا الشيخ مع سيدي محمد بوزيد (كذا) قادمين نحونا وسيدي عبد القادر ومن معه حافي الرأس والقدم فاكب على رجلي الشيخ يقبلهما والشيخ قائم فحنى (كذا) الشيخ عليه وغطى له رأسه وجعل يفعل ذلك مع فرد الوجود وإنسان عين العيان والشهود سيدي محمد بوزيد**»[45].

كانت الزيارة منعطفا حاسما في تاريخ الطريقة الدرقاوية؛ فسنة بعد ذلك، تزعم ابن الشريف ثورة درقاوة ضد الأتراك. وهنا لابد من الإشارة إلى أهمية زيارات درقاوة الجزائر ومقدمهم ابن الشريف، والتي تعددت غاياتها وأهدافها، حيث تغير هدف الزيارة من زيارة للزاوية الأم بوبريح ولقاء الشيخ العربي الدرقاوي، إلى زيارة سمحت

---

43- نفسه، ص. 109- 110.

44- نفسه، ص. 110- 111.

45- المعسكري، **كنز الأسرار**، ص. 86.

لابن الشريف بعرض حالة الجزائر على الشيخ من ظلم وجور الحكام العثمانيين[46].

## ثالثا : - درقاوة وتنشيط الصلات الثقافية بين المغرب والجزائر:

### 1 - خلق وتنشيط الروابط الثقافية بين البلدين :

أسـهم التصوف المغـربي في ربط وشـائج التواصل بين البلدان الإسـلامية عامة، ومنطقة شمال إفريقيا خاصة. وزاد درقاوة هذا العامل اتساعا وتعمقا، حين جعل مولاي العربي الدرقاوي من أسس طريقته السياحات والزيارات، والتي ساهمت بشكل كبير في تكثيف الاتصالات بين الدرقاويين، وبينهم وبين السكان. كذلك كان للحج الدور الهام في ذلك، فقد اعتاد المغاربة أن يتوجهوا إلى المشرق برا، حيث يقضون فترة من سـفرهم في الاتصال بالعلماء والفقهاء والمتصوفة وعامة الناس، فيحصلون على الاجازات، أو يقومون بالتدريس لبعض الوقت في المساجد المهمة. وإذا كانوا من المتصوفة، فإنهم يعملون على نشر طريقتهم أو اسـتمالة الناس إليها، أو لفت أنظار الناس لأسسـها وأحوالها، كما هو الحال بالنسـبة للدرقاويين وهم على حال التجرد، ويتيح لهم طول فترة السفر، التعرف عـلى النشـاط الثقافي للبلدان التـي يعبرونها، وهذه الظواهر كانـت قديمة قدم توجه المغاربة صوب المشرق لأداء مناسك الحج[47].

والجانب الثقافي حاضر في أسس وأحوال درقاوة، فالسياحات والزيارات زكت ذلك الحضور القوي للتبادل الثقافي، في إطار التصوف الشـاذلي الدرقاوي، والذي تمثل في ربط اتصالات وعلاقات بدرقاوة الجزائر. فمحمد بن معروف وهو أحد الدرقاويين الجزائريين البارزيـن، كان من أجل علماء الفقه، اسـتقر مدة بفاس قبل ظهور الطريقة الدرقاوية،

---

46- انظر الدور السياسي للطريقة الدرقاوية في العلاقات بين المغرب والجزائر. الخداري، **دور الزوايا والطرق الصوفية**، ص ص. 202 -273.

47- الخداري، **دور الزوايا والطرق الصوفية**، ص. 148

وأجاز الكثير من العلماء المغاربة، وكانت علاقته وطيدة بالشـيخ العربي الدرقاوي، الذي كان يـزوره بمنزلـه بفاس، «**فيذكره مذاكرة قلبية بأسرار وعلـوم لدنية غيبية لا يعبرها لسـان ولا تسطرها بنان لأنها ترد على الجنان من حضرة العيان**»[48] وكان الشيخ العربي يجـده يطالع كتـب التصوف، فيقول لـه «**اطرح كتابك يا سـيدي محمد بن معروف ولا تحجـب بما للناس عما لك**»[49]، ثم يزيد قائلا «**واعلم أن الكتب هي المسـتمدة من القلـوب وهي تنفق عليها من أول الدنيا إلى آخرها وهكذا ويطوي كتابه ويلقي عليه علوما ما سمع ولا رءا (كذا) عند أحد مثلها**»[50].

وكان الشـيخ العربي دائم التردد عـلى ابن معروف، بحيث كانـت تدور بينهما نقاشات حول التصوف والفقه، فيقول له الشيخ «**أنت اترك شيئا من العربية وأنا أترك شيئا من الجبلية ونتلاقوا (كذا)**»[51]. وأسفرت هذه اللقاءات والنقاشات بين الرجلين عن الخروج بمبدإ التجرد كحالة ضرورية لإحياء التصوف الشـاذلي. ونجد من بين الدرقاويين الجزائريين الذين اسـتقروا بفاس البوجلالي المعسـكري الذي درس بالمدرسة المصباحية سـنة 1170هـ/1757-56م، وكان الطلبة يثنون عليه وعـرف عندهم بالولاية والصلاح، وكان الشـيخ العـربي يحبه ويجله، ويكثر من ملاقاته[52]. ونجد كذلك بوعزة التلمسـاني، وهـو من أصحاب وأتباع الشـيخ العربي، فقيه متصوف، لا يقـدر أحد من العلماء على مجادلته -حسـب قول الكتاني-، توفي بفاس سـنة 1277هـ/1861م، ودفن بمسـجد أبي مدين الغو ث[53].

48- المعسكري، **كنز الأسرار**، ص. 88- 89.

49- نفسه، ص. 89.

50- نفسه، الصفحة نفسها.

51- نفسه، الصفحة نفسها.

52- نفسه، ص. 89.

53- الكتاني، جعفر، **كتاب في تراجم بعض أصفياء القرن الثالث عشر**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، مجموع رقم، د2744، ص. 49

وتبقى حركية ونشاط الشيخ العربي، والكيفية التي نشر بها طريقته، من أسباب تواصل أتباعه اجتماعيا وثقافيا. يذكر مولاي العربي أنه جمع ما سجله من كتب الصوفية لـــكي ينتفع بها أتباعـــه في حياته ومماته، ويقول: «**حملني عـــلى جمعها أيضا أن يكون لجمعها بركة وفضل إذ الجمع له بركة وفضل وتكون طريقتنا ظاهرة شهيرة لأحبتنا ولمن أراد أن يقتدى بنا**»[54]. وكان الشـــيخ العربي واعيا بأن الذين يخاطبهم مختلفي المعارف والتكوين ودرجة الاســـتيعاب، فكان يعمل على تكـــرار المذاكرة مرات عديدة «**لعل من لم يستفيد (كذا) في الأولى يستفيد في الثانية أو الثالثة وهاكذا (كذا) ولعل أيضا الفقير المقـــروح مهما فتـــح عيناه (كذا) فيها وجد حاجته بها من غـــير تفتيش عليها**»[55]. وكان يوصي أصحابه وأتباعه بادخار رســـائله التي ألفها في التصوف، ودأب الشـــيخ على إرسال الرسائل والكتب إلى أصحابه وأتباعه، الذين عملوا بدورهم على جمعها والاستفادة منها وتوزيعها. فرفيقه محمد المكودي جمع رسائل الشيخ التي أرسلها إليه بتازة، إذ كان كثير المراســـلة له، وأخذ أيضا نســـخا من هذه الرســـائل لغيره من الأتباع في المغرب والمشرق، وقد نابت الرســـائل عن الاتصالات واللقاءات، و اتخذت من شـــؤون الطريقة موضوعها الرئيس، في إطار عملية إغناء مســـتمرة لها، والتصـــدي الجماعي لكل محاولات التهديد والتشـــكيك مـــن طرف خصوم الطريقة مـــن الفقهاء والعلماء والمتصوفة. وقد اســـتفاد درقاوة الجزائر من وصول رسائل مولاي العربي إليهم، فكانوا يقرؤونها هي وبعض كتب التصـــوف الأخرى، ويأخذون منهـــا الألفاظ الدالة على ذم الدنيا ومـــدح الآخرة[56]. فابن الشريف مثلا، كان يعمل بكلام الشيخ ويقرأ رسائله «**محرضا على العمل بها وكذلك كلام الأكابر من إخوانه في الله**»[57]. ويظهر أن الشيخ العربي أرسل رسائله إلى أتباعه بالجزائر، والتـــي وصلت إليهم عن طريق الدرقاويين المغاربة أو الجزائريين، والتي كانت في بعض الأحيـــان وســـيلة الاتصال الوحيدة مع الأتبـــاع الكثر في بعض المناطـــق النائية والصعبة

54- الدرقاوي، العربي، **شورا الطوية في مذهب الصوفية**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، مجموع رقم د1856، ص. 3- 4

55- نفسه، ص. 17.

56- المزاري، **طلوع سعد السعود**، ص. 302.

57- المعسكري، **كنز الأسرار**، ص. 109.

الوصول. وقد ذكر الأستاذ "سعد الله أبو القاسم" أنه اطلع على رسائل مولاي العربي بالجزائر، أرسلها الشيخ لأتباعه[58]، ولم نجد إلا رسالة واحدة أرسلها الشيخ إلى صديقه محمد بن معروف بوشنافة والتي يحثه فيها على التخلق بالخلق الكريم[59].

وكمثال على إحياء الطريقة الدرقاوية للتواصل الثقافي، وتبادل المراسلات والرسائل بين علماء ومتصوفة البلدين، نورد هنا رسالة "محمد بن عطية الونشريسي"، وهو من أتباع الطريقة بالجزائر، أرسلها إلى بعض علماء المغرب ومتصوفته نذكر منهم محمد الحراق، يقول فيها: «**السلام على سادتنا وقرة أعيننا والرحمة والبركة تعمكم في السكون والحركة وبعد فان سألتم عنا فنحن بخير كبير ولا خير إلا خيركم ولا سر إلا سركم ولا بركة إلا بركتكم وذالك ما نال منا خيرا ولا شرا ولا بركة منا ومن غيرنا إلا على يديكم ومن منح فضلكم وعطاياكم والله ما رأينا على وجه الأرض من هو أكرم منكم ولا أجود منكم بالمنة لله ولكم ونطلب منكم الزيادة والترقي دائما بفضلكم ومنح عطاياكم في الأسرار الأزلية التي لا نهاية لها أبدا (...) ونحبكم أحبكم الله ألا تقطعوا رسائلكم عنا ولو بالتزبال (كذا) لأن كل ما يأتي من المليح مليح**»[60]، وما جاء في الرسالة خير معبر عن مدى أهمية المكانة التي كانت لعلماء ومتصوفة المغرب، خاصة درقاوة، لدى الأتباع الجزائريين، واستمرار هذا التقليد الذي رسخه شيخهم من تبادل الرسائل والمراسلات والكتب الفقهية والصوفية، مع كثرة الزيارات والسياحات التي تفتح المجال لمثل هذه الاتصالات الثقافية، لاعتبارات منها انتشار الطرق الصوفية المغربية بالجزائر، ومكانة فاس وعلمائها لدى الجزائريين، والأهم من ذلك طبيعة الطريقة الدرقاوية وحيوية شيوخها ومريديها.

58- أبو القاسم، سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، الجزء الأول. ص. 494 . لم نعثر عليها في خزانات ومكتبات الجزائر العاصمة خلال زيارتين (2001 و2003).

59- الدرقاوي العربي، **رسالة إلى سيدي محمد بن معروف بوشنافة**، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، مجموع رقم د2744، ص. 315.

60- المشرفي، **الحسام المشرفي**، ص. 203 (نص. الرسالة ص. 203- 204).

واستمر هذا التواصل الثقافي الصوفي بعد وفاة الشيخ العربي، وظهور طرق جديدة تفرعت عن الدرقاوية، التي استمر شيوخها وأتباعها في تمتينه بين البلدين، فهذا الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري الذي قاد الجهاد ضد الفرنسيين المحتلين للجزائر سنة 1245هـ/ 1830م، يتبادل الرسائل مع الشيخ محمد الحراق أحد شيوخ درقاوة بتطوان، حيث كان يخبره بالمعارك التي كان يخوضها ضد الفرنسيين بمعسكر ومستغانم، وفي رسالة له يطلب من الشيخ الدعاء له ويقول: «**وما أصابنا من خير فببركتكم ودعائكم ورضاكم عنا، ولا نسونا [كذا]من صالح دعائكم**»[61]. ويذكرنا ذلك بدعاء الشيخ العربي على الأتراك قبل وبعد ثورة ابن الشريف الدرقاوي.

### 2 - تأليف كتب عن درقاوة:

خلق هذا التواصل الثقافي بين الدرقاويين بالمغرب والجزائر، نوعا من الحركية على مستوى الاهتمام أكثر بالطريقة ورسائل شيوخها، والتعمق أكثر في أسسها وأحوالها، والتأريخ لثورتها ضد الحكام العثمانيين بالجزائر في بداية القرن 19م، من خلال مجموعة من التآليف عن درقاوة، ويمكن تصنيف الذين كتبوا عن الدرقاوية في القرن التاسع عشر إلى صنفين: درقاوة الجزائر الذين دافعوا عن طريقتهم، والموالون للأتراك والذين انتقدوا بشدة الطريقة وثورة أتباعها بالجزائر بداية هذا القرن.

#### أ - درقاوة الجزائر:

ألف درقاوة الجزائر كتبا عن درقاوة، بعد دخولهم الطريقة، وقيامهم بسياحات وزيارات للشيخ العربي، والاستقرار مدة بفاس والاستفادة من علمائها ومتصوفتها، ونذكر منهم على الخصوص أبا زيان المعسكري (ت 1280هـ/ 1864م) الذي ألف كتابا سماه "**كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار**»، وهو عبارة

---

61- داود، محمد، **تاريخ تطوان**، لمجلد السادس، المطبعة المهدية، تطوان، 1966، ص. 371

عن مخطوط في مناقب الشـيخ العربي وبعض أصحابـه وأتباعه بالمغرب والجزائر، ومن أهـم المصادر التي أرخت للطريقـة الدرقاوية نهاية القرن الثامـن عشر وبداية القرن التاسـع عشر، رغم أن مؤلفه لم يكمله. ويعبر تأليف المعسـكري عن الطريقة، ما أثارته من اهتمام وحضور داخل المشـهد الصوفي والسياسي بالمغرب والجزائر إبان هذه الفترة، وهـذا ما جعـل الدرقاويين الجزائريين يكتبـون عنها ويدافعون عن شـيوخها وأتباعها وأسسـها وأحوالها. ولم نجد لهذا المؤلف مثيلا في المغـرب والجزائر، واعتبر من المصادر الأساسية للطريقة الدرقاوية.

ألـف العـربي المشرفي (ت 1312هـ/ 1895م) مؤلفـا رد فيه على كتاب لأبي راس المعسـكري يذم فيه درقاوة سـماه "**درأ الشقاوة عن السادات درقاوة**»، لم نعثر عليه لا في المغرب ولا في الجزائر، ويظهر من العنوان أنه رد اعتبار لدرقاوة ضد خصومها الموالين للعثمانيين. ومن جهة أخرى لاحظ المشرفي تجني محمد أكنسوس (ت1877م) (التيجاني الطريقة) على الشـيخ العربي خاصة في كتابه الجيش العرمـرم، فرد عليه بتأليف كتاب سـماه "**الحسام المشرفي لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنسـوس**". ورغم أن المؤلف كتب بعد وفاة الشـيخ العربي الدرقاوي، لكن اعتبر مصدرا مهما للطريقة الدرقاوية بالجزائر، فآثرنا إدراجه في المقام لسد النقص، ولأهميته، ولتفرد مؤلفه في الرد على أكنسوس الذي لم يجرؤ أحد على الرد عليه من المغاربة. ويدل ذلك على متانة الاتصالات والعلاقات الثقافية بين الجزائريين والمغاربة حتى بعد سيطرة الفرنسيين على الجزائر.

**ب- الكتاب الموالون للعثمانيين:**

لم يحظ درقاوة بالاهتمام من طرف الإخباريين الجزائريين الموالين للحكام الأتراك إلا بعد قيام ثورة درقاوة بالجزائر، نتيجة ازدياد أهمية الطريقة الدرقاوية داخل المشهد الاجتماعي والسـياسي والصوفي، وقيام درقاوة ضـد العثمانيين والعمل على التخلص من

حكمهم، وكانت هذه الأسباب كافية للتطرق للطريقة وأتباعها بالمغرب والجزائر. وعبرت وجهة نظر هؤلاء الكتاب عن مدى تعاطفهم وميلهم لجانب الحكام العثمانيين ضد درقاوة، فجاءت كتاباتهم مليئة بأقبح النعوت والأوصاف، وبأخبار تجانب الحقيقة. لكن رغم ذلك فإن بروز الطريقة الدرقاوية داخل المجتمع الجزائري، وقيادة ثورة أنهكت قوى الحكم العثماني، أثارا اهتمام الإخباريين بها أكثر من غيرها من الطرق، والإسهاب في الحديث عن ثورتها على الخصوص. ونذكر من هؤلاء الكتاب:

- **أبوراس المعسكري** (ت1233 أو 1238هـ/1818 أو 1822م): خص درقاوة وحروبها ضد العثمانيين بكتاب سماه «**درأ الشقاوة في حروب درقاوة**"، ذكر الأستاذ سعد الله أبو القاسم أنه عثر عليه بالمغرب[62]. لكن لم يذكر مكان وجوده بالضبط، وقد اعتمد عليه المهدي البوعبدلي في تقديمه لكتاب الثغر الجماني. ويظهر من العنوان ومن سيرة أبي راس أنه كان من الناقمين على ثورة درقاوة ومن الموالين للأتراك، زيادة على ذلك كان سلفيا وكان الباي مصطفى المنزلي الذي ثار عليه ابن الشريف الدرقاوي، من أعز أصدقائه[63].

- **مسلم بن عبد القادر الوهراني** (ت1249هـ/1833م): كاتب (باش دفتر) البايات المتداولين على وهران مدة ثورة درقاوة، استمر في وظيفته مع الباي حسن حتى نهاية الحكم العثماني، ألف كتابا تعرض فيه بإسهاب لثورة درقاوة بالغرب الجزائري سماه "**تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر**»، يعتبر من المصادر المهمة التي تعبر بوضوح عن وجهة نظر الموالين للعثمانيين. وتكمن أهميته في معاصرته للأحداث وسرده لمعطيات وإشارات مهمة عن ثورة درقاوة.

---

62- أبو القاسم، **تاريخ الجزائر**، ج، 1، هـ 1، ص. 517.

63- الراشدي، محمد بن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، 1973، (التقديم)، ص. 67.

- **حسن خوجة** (ت 1840م): من الموالين للأتراك ألف كتاب "**در الأعيان في أخبار وهران**"، مفقود، نشره روسو بجريدة "Le moniteur Algerien» سنة 1855م، العدد 1395-1398، وأخذ عنه محمد بن يوسف الزياني في كتابه دليل الحيران، يقول عن درقاوة: «**أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**»[64].

- **محمد بن يوسف الزياني**: ألف كتابا سماه "**دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**»، خصصه لمدينة وهران، ويشمل الحكم العثماني بالجزائر بصفة عامة، وأهم ما ميزه عن الكتب الأخرى، أنه يتحدث عن الفترة الأخيرة من حكم العثمانيين، عكس جل الاخباريين الذين وقفوا عند سنة 1792م/ 1206هـ سنة تحرير وهران من قبضة الإسبان. وعرض لثورة درقاوة وتناولها بالتفصيل والحياد دون تحيز لوجهة نظر المؤرخين الرسميين الموالين للعثمانيين مثل: أبي راس المعسكري وحسن خوجة ومسلم بن عبد القادر، ولا إلى المتعاطفين مع ثورة الدرقاوية من درقاويين وشعراء. لكنه نقل عن كل هؤلاء وعزز ذلك بشهادات شهود عيان. ورغم حياده مال لجانب العثمانيين وذم درقاوة قائلا: «**أهل الضلالة والشقاوة**»[65]

**خاتمة:**

استطاعت الطريقة الدرقاوية أن تنتشر في جل البلاد الإسلامية عامة، والجزائر خاصة، وساعدها على ذلك طرق قوافل الحج التي لعبت دورا هاما في ذلك، واعتماد شيوخها ومريديها على الزيارات والسياحات خاصة بين المغرب والجزائر، وساهمت الدرقاوية بدور مهم في تنشيط الروابط الاجتماعية على حياة شيخها مولاي العربي تميز بالخصوص في نشر الطريقة بالجزائر بثوب التجرد وتكثيف الزيارات والسياحات

64- الزياني محمد بن يوسف، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1384/1978، ص. 213.

65- نفسه، ص. 224.

بين أتباع الطريقة. كما ساهمت الدرقاوية في خلق روابط ثقافية ساهم في تنشيطها الشيوخ والمريدين بزياراتهم ومراسلاتهم وتأليفهم رسائل وكتب عن درقاوة. واستمرت هاته الروابط الاجتماعية والثقافية حتى بعد دخول الفرنسيين للجزائر وبداية سيطرتهم على البلاد، ولا يمكن إغفال الدور السياسي الكبير الذي لعبه درقاوة في ثورتهم ضد الحكام العثمانيين بالجزائر في بداية القرن19م، وضد التغلغل الاستعماري الفرنسي في بلاد المغارب طيلة هذا القرن وبداية القرن العشرين، وهي بذلك تمثل عمق العلاقات بين دول الجوار المغاربية، وتجاوزها للعوائق السياسية والحدود، واشتراكها في تبني وتملك الهوية الثقافية والدينية والاجتماعية والتاريخية.